

# وَصَايَا أَهْمَمَاتِ الشَّيْبَانِي



أ.د. صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْعِزِّ بْنِ عُثْمَانَ سِنْدِي

أَسْتَاذُ الْعَقِيدَةِ بِالْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

وَصَايَا أَهْمَمَاتِ الشَّيْبَانِي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## وَصِيَايَا مَهْمَةِ الشَّيْخِ \*

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان..

### أَتَابَعَدُ

فأسأل الله **جَلَّ وَعَلَا** أن يجعل أعمالنا كلها سالحة ولوجهه خالصة وأن لا يجعل لأحدٍ فيها شيئاً.

يقول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿سَرَّعْ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَىٰ بِهِ نُوْحًا وَالدِّى اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ وَمَا وَصَيْنَا بِهِ اِبْرَاهِيْمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ اَنْ اَقِيْمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِيْنَ مَا تَدْعُوهُمْ اِلَيْهِ اَللّٰهُ يَجْتَبِيْ اِلَيْهِ مَنْ يَّشَاءُ وَيَهْدِيْ اِلَيْهِ مَنْ يُّنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى].

هذه آية عظيمة بين الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فيها خلاصة دعوة اولي العزم من الرسل **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ**، والمذكورون ها هنا هم اولي العزم من الرسل على قول جماهير أهل العلم؛ هؤلاء الخمسة المذكورون في هذه الآية، وكذلك ذكروا في آية الأحزاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّنَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ



\* أصل هذه الأوراق؛ تفرغ كلمة ألقيت في محافظة (عفيف) ليلة الأربعاء ٨ جمادى الأولى ١٤٤٥ هـ.

مَرِيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا عَلِيمًا ﴿٧﴾ [الأحزاب]؛ فهؤلاء هم أولي العزم من الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وهم أفضل الأنبياء والمرسلين، خلاصة دعوتهم كانت في هاتين الكلمتين: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾، ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾. ما أعظم هاتين الكلمتين! وما أحرى المسلم أن يقف عندهما ملياً.

﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾؛ ما معنى إقامة الدين؟

☞ من المفسرين من قال: إنَّ إقامة الدين هي العمل به.

☞ ومنهم من قال: إنَّ إقامة الدين هي الثبات عليه.

☞ ومنهم من قال: إنَّ إقامة الدين هي الدعوة إليه.

☞ ومنهم من قال غير ذلك.

والأقرب - والله تعالى أعلم - أن إقامة الدين ترجع إلى أمرين:

■ الأمر الأول: إقامة الدين في النفس.

■ والأمر الآخر: إقامة الدين في الغير.

وهذا ما نحى إليه الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره.

هذه وصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَنَا وَلِنَبِينَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ولإخوانه الأنبياء من

أولي العزم من الرسل؛ هذا ما شرعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَنَا: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا

وَصَّي بِهِ، نُوْحًا﴾ [الشورى: ١٣] الآية.

كيف يكون المسلم مُقيماً للدين في نفسه؟

إقامة الدين في النفس ترجع إلى: العمل به عن علمٍ مع ثباتٍ عليه. العمل بهذا الدين ولكن لا عن جهل وإنما عن علم مع ثباتٍ عليه.

إذن عندنا في هذا الموضوع ثلاثة أصول مهمة لا بد من تحقيقها حتى يكون الإنسان مقيماً للدين:

❁ الأصل الأول: أن يبنِّي عمله على العلم.

العلم الشرعي هو الأساس وهو المبدأ ومنه المنطلق، فيعمل الإنسان بدين الله **جَلَّ وَعَلَا** على علمٍ من علم الشريعة؛ فيعمل على نورٍ من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، يعمل على هديٍّ من لدن سنة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

والعلم -يا إخوتاه- غنيٌّ عن البيان فضله ومكانته والحث عليه، ولكني أنبهك فيه يا رعاك الله إلى ثلاثة أمور؛ ضعها نصب عينيك:

❁ أولاً: أن تجتهد في طلب العلم على قاعدة تقديم الأهم على المهم؛ العلم الشرعي كلُّه مهمٌّ، ولكن بعضه أهم من البعض، وهو شيء كثير جداً لو أفنيت فيه عمرك ما نلت إلا شيئاً قليلاً منه، إذن عليك أن تُركِّزَ، تجمع همّتك على الأهم ثم ما دونه، وأهم ما في العلم هو:

❁ أولاً: علم الاعتقاد والتوحيد.

☞ وثانياً: العلم الذي تصحح به عبادتك ومعاملاتك.

☞ وثالثاً: العلم الذي تفهم به مراد الله ومراد رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فيما جاء في الكتاب والسنة.

أهم القضايا في العلم هذه، وكم تضيع الأعمار وتنصرف الأوقات في أشياء دون هذا في الأهمية! وهذا على حساب هذه الأمور المهمة:

أولاً: أن تركز على علم العقيدة، أن تهتم بذلك لا سيما في هذا الزمان، فإن طلب علم الاعتقاد من أوجب الواجبات وأهم المهمات على كل من أراد نجاة نفسه، فالسيل الجارف اليوم من الشبهات يدور على العقيدة، والحرب الطاحنة بين الأفكار والتيارات المتصارعة تدور على العقيدة، فمن لم يكن ذا علمٍ وبصيرة في هذا الاعتقاد فما أسرع أن يقع في العطب.

ثم العلم الذي تصحح به عبادتك ومعاملاتك، ألا وهو: علم الفقه.

ثم العلم الذي تفهم به مراد الله ومراد رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فيما أنزل الله وفيما أوحى الله.

هذا من المهمات لا بد أن تجمع همتك على أنك إذا قرأت كلام الله أن يكون عندك بصيرة وفهم ما الذي أراده الله بهذه الآية؟ ومن الذي عناه نبينا **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في هذا الحديث؟ فلا بد أن يكون عندك همة تستشرف إلى هذا

الأمر، لا بد أن تفهم، وإنك بعد شوط طويل من طلب العلم ستصل فيما أظن إلى هذه النتيجة؛ وهي أن أهمَّ شيء بعدما قدمته لك من العقيدة والفقهِ هو أن تفهم ما الذي أراده الله وما الذي أراده رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في آيات القرآن والحديث؟ وستجد وربما تكتشف أنه قد فات وقتٌ طويل وجهدٌ كبير عليك وأنت ما قد حُزتَ هذا القدر من العلم المهم.

🔖 **الوصيةُ الثانيةُ:** هي أن يكون علمك مبنياً على قاعدة التحقيق والتدقيق؛ العلم العام والكلام العائم والبحث الذي يكون على الأطراف والشواطئ دون أن يكون علماً مركزاً علماً محققاً، قد يكون علماً فيه رسوخ تأخذ المسألة فتحققها، وتدقق القول فيها وتصل فيها إلى الصواب بالدليل؛ هذا الذي ينبغي أن نهتم به اليوم.

أما علمٌ هو أشتات من المعلومات وثقافة عامة هذا العلم لا يُجدي عليك شيئاً لا سيما في هذا الزمن، إذن أنت بحاجة إلى أن يكون علمك علم تحقيقٍ وتدقيقٍ؛ إلى أن يكون علم رسوخ تفهم المسألة من أصلها إلى فرعها بصورة مدققة ومحققة، ولذلك كلما أمكنك تطلب العلم من هذا الطريق الذي تجد فيه أهل العلم في مؤلفاتهم ومصنفاتهم، في كتبهم في دروسهم، يحرصون على هذا التدقيق؛ كلما كان علمك أركز.

🔖 **الوصية الثالثة:** أن تجتهد في طلب العلم على قاعدة المذاكرة فيه؛ وهذا

الغفلة فيه كثيرة.

الغفلة حاصلة كثيراً في هذا الموضوع، وهي أنّ من طلاب العلم من يجتهد ويحرص ويقرأ ويحضر مجالس أهل العلم ويستمع إلى آخر ما هنالك وربما حفظ، ولكن ما عنده همّة في المراجعة والمذاكرة واستحضار المعلومات التي مرت به؛ وهذا له أثره في نسيان العلم، فإنّ حياة العلم مذاكرته. التكرار في العلم شيء أساس ومهم، لذلك إذا قرأت في تراجم العلماء تجد أن عندهم حرصاً شديداً على مسألة إعادة القراءة للكتاب الواحد، تجد أنه فلان قرأ هذا الكتاب خمسين مرة، قرأ هذا الكتاب مئة مرة، تراجع، هذا من الأهمية بمكان؛ أمّا أن يحرص الإنسان على حضور الدرس، ثم تنتهي علاقته بالكتاب المدروس بنهاية الدرس، يطبقه ويضعه في محل المكتبة وينتهي الأمر! ثم إذا تابحت معه بعد ذلك في الموضوعات التي درست ما عنده شيء لماذا؟ لأنّ علاقته انتهت بهذا الكتاب الذي درسه بمجرد انتهاء الدرس. ما هكذا يكون طالب العلم الراسخ!

فلتنبّه -يا إخوتاه- إلى هذه الأمور، ضعها نصب عينيك في باب العلم

الشرعي احرص عليها -يا رعاك الله-:

☞ الأهمُّ قبل المهمِّ.

☞ والتحقق والتدقيق.

☞ والتكرار والمذاكرة.



هذه أمور ثلاثة تنفعك كثيرًا بتوفيق الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في الحصول على المراد؛ من أن تكون على نور وبصيرة، فالعلم مرادٌ لهذا؛ أنك تعبد الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على بينةٍ وبصيرة، تكون في منأى وحصن حصين بتوفيق الله أن تنال العاديات والشبهات.

❁ ثم بعد ذلك الأصل الثاني: العمل الجادُّ بالشرعية.

﴿خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢] اعملْ بجِدِّ، أَقْبِلْ على طاعة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**

بهمة عالية، هذا الذي ينبغي عليك بعد أن تعلم؛ أن تجتهد في طاعة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، أن تأخذ نفسك بحزم على طاعة الله **عَزَّ وَجَلَّ** والاستقامة على دينه وأن يكون منك قبول وانقياد والتزامٌ لأحكام الشريعة، لا بد أن تجاهد نفسك، لا بد أن تطرها على الحق أطرا، لا بُدَّ أن تجاهد ما في نفسك من هوى وشهوة وانصراف عن الحق وميل إلى الكسل.

فالجِدُّ الجِدُّ -يا إخوتاه- بالعمل بطاعة الله من واجبات وسنن من كل ما أمر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** به وأمر به نبينا **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فالأمر جدٌ وحق، وهذه الحياة مزرعة للحياة الآخرة، وعن قريب سننتقل عنها، فهنيئًا لمن قدم لنفسه ﴿بِلَيْتِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر]؛ هذه الحياة الحقيقية هي التي تنتظرنا، وهذه الأعمال التي سنلقى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بها.

ومن أعظم ما يعينك - يا رعاك الله - على الجِد في العمل بطاعة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: تذكر الدار الآخرة؛ من كانت الدار الآخرة حاضرةً في نفسه دائماً فوالله إنه الذي حيزت له السعادة بحذافيرها، ورب السماء. ولذلك الله **جَلَّ وَعَلَا** ذكر بعض أنبيائه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** ثم قال: ﴿إِنَّا أَخَذْنَا لَهُمْ بِنَجَاصَةِ ذِكْرِي الدَّارِ ﴿٦٦﴾﴾ [ص]؛ ما معنى هذا؟

يعني أن الله **عَزَّ وَجَلَّ** خصَّهم بخصيصة وأنعم عليهم بنعمة وهي أنهم يتذكرون الدار الآخرة، الدار الآخرة حاضرة في الذهن، وأنَّ هناك انتقالاً عن هذه الحياة، وأنَّ هناك برزخاً، وهناك عرصات قيامة فيها ما فيها من أهوال، ثم بعد ذلك هناك داران: إما دار عذاب -نعوذ بالله-، وإما دار نعيم -نسأل الله من فضله- وكلما كنت قريباً من تذكر هذا الأمر وهو حاضر في ذهنك أبشر بالخير، أنت على خير إن شاء الله.

❁ ثم بعد ذلك الأصل الثالث: وهو -يا رعاكم الله- الثباتُ على هذا الدين؛ فإنَّ الإيمان والعمل الصالح الذي ينفَعك عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هو الذي تلقى به ربك، إذن جاهد نفسك على الثبات إلى اللحظة الأخيرة، إلى الثانية الأخيرة من حياتك، إلى النفس الأخير الذي كُتِبَ لك.

جاهد نفسك على الثبات على هذا الأمر؛ فإنَّ النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أخبر كما في الصحيح أنَّ الأعمال بالخواتيم، وقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلًا

أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ» (١).

كيف يعمل الإنسان بعمل أهل الجنة وهو من أهل النار؟ يختم له والعياذ بالله بعمل أهل النار، فكلُّ ما تقدّم ذهب هباءً منثورًا، نسأل الله السلامة والعافية.

فشأن الثبات شأنٌ عظيمٌ؛ لا بُدَّ أن تبتهل إلى ربك **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بالدعاء أن يتوفاك مسلمًا، هذا يوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ** يقول: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (١١) [يوسف]، وأولو الألباب ذكر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أنهم يدعون الله **جَلَّ وَعَلَا** فيقولون: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران].

وأخرج البخاري في الأدب المفرد عن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أنه كان يدعو الله **عَزَّ وَجَلَّ** فيقول: «اللَّهُمَّ تَوَفَّنِي مَعَ الْأَبْرَارِ، وَلَا تُخَلِّفْنِي فِي الْأَشْرَارِ، وَأَلْحِقْنِي بِالْأَخْيَارِ» (٢).

فهكذا ينبغي علينا؛ أن نجتهد بالضراعة إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن يُثَبِّتَ قلبك ادعُ الله، ادعُ مُقَلَّبَ القلوب أن يُثَبِّتَ قلبك على الدين، ادعُ مُصَرِّفَ القلوب والأبصار أن يصرِّفَ قلبك إلى طاعته، وسلِّ ربك بصدقٍ ألا يُزيغَ قلبك بعد إذ هدأك، وسله مستعيذاً به من الحور بعد الكور، هذا من الأسباب على الثبات؛ فإنَّ المسألة والله ليست راجعة لا إلى علم ولا إلى اجتهاد ولا إلى ذكاء ولا إلى

(١) رواه البخاري (٢٨٩٨).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٤٨٩).

منصب ولا إلى شهادة ولا إلى شيء من هذا البتة، إن القضية محض فضل من الله  
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فالله جَلَّ وَعَلَا على إن شاء أن يثبت القلب ثبته، وإن شاء أن يزيغه أزاغه، ومع  
ذلك فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الشكور، لا بد أن تستحضر هذا؛ الله عَزَّوَجَلَّ يجزي على  
الحسنة بأحسن منها، ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ [النمل: ٨٩]. ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾  
وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِّيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾﴾ [الليل]، لا يمكن أن يجازيك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
على اجتهادك وعملك بأن يزيغ قلبك.

هذا لا يتأتى - أعني هذا الزيغ - إلا لأحد شخصين:

■ إما من دسيسة سوء في قلبه؛ إما أن يكون في قلبه نفاق أو رياء نعوذ بالله،  
مثل هذا حري أن يخذل، حري أن يختم له بخاتمة السوء نعوذ بالله.

■ والأمر الثاني: أن تكون خاتمة السوء في حق من هو مُصِرٌّ على معصية الله  
عَزَّوَجَلَّ؛ فمثل هذا قد يُخذل عيادا بالله، الله عَزَّوَجَلَّ ما ظلمه وإنما أوتي من نفسه.

فكُنْ حَذِرًا من نفسك، فإنَّ نفسك التي بين جنبيك أشد أعدائك، ولربما  
خُذِلْتَ بسبب ذنبٍ قد صرت مصرًا عليه في حياتك نعوذ بالله.

ذكر ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ عن رجلٍ أنه كان في سياق الموت يَلْقَنُ (قُلْ: لا إله  
إلا الله، قل لا إله إلا الله) فكان آخر شيء قاله: هو كافر بلا إله إلا الله نعوذ بالله.

فلما سُئِلَ عن حاله قيل: إنه كان مدمناً على شرب الخمر نسأل الله السلامة والعافية. ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود].

فعلى الإنسان أن يجاهد نفسه باجتناّب المعاصي حتى لا يخذل في آخر عمره، وإذا ابتلي بادر بالتوبة ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف].

فهذا ما يتعلق بإقامة الدين في النفس.



ثم بعد ذلك: إقامة الدين في الغير.

إن كنت مُحِبّاً لله، إن كنت محباً لدين الله؛ فعليك أن تكون من جند الله ومن أنصار دينه، ﴿كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤]، عليك أن يكون في قلبك همة وحرص على أن يفسو الخير وأن يرتفع شأن دين الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في كل مكان، كُنْ محباً لهداية الناس؛ هذا الدين وهذا الإسلام وهذه السنة المحمدية علّمت قلوب أهلها الرحمة بالخلق وأنهم يحبون أن يهتدي الناس كلهم وأن يكون الناس كلهم على خير وهدى، حتى من كان من أعداء الله، حتى من كان من الكفار والمشركين نحن ننظر إليهم بنظرين:

■ نظر من جهة الشرع: فنعاملهم بما يستحقون من البغض والعداوة والبراءة

إلى آخره.

■ ونظر من جهة القدر: فرحمهم، وهذه الرحمة هي التي تدعونا إلى الاجتهاد في دعوتهم.

هكذا ينبغي لنا أهل الإيمان والتوحيد وكل من كان مُحَقِّقًا للتوحيد عظمت في نفسه هذه الرحمة، حتى إن الإمام أحمد **رَحِمَهُ اللهُ** كان يقول: «وددتُ لو أنَّ الناس اهتدوا وأن لحمي قُرِّصَ بالمقاريض»، وكان يدعو فيقول: «يا الله إن كُنْتَ تقبل فداءً عن أمة محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فاجعني فداء لهم؛ هكذا النفوس الرفيعة الشريفة حريصة على أن يهتدي الخلق كلهم.

شأنهم عجيب يا إخوانه؛ الناس يعصون وهم يحملون همَّ عصيانهم، وهم في لهوهم يضحكون وهم يبكون لأجلهم؛ حريصون على أن يهتدوا وأن يستقيموا على طاعة الله وأن يسلموا من عذاب الله فإنَّ عذاب الله شديد.

هذا من حقيقة التوحيد -يا إخوانه-؛ فتصديقُ وعد الله **عَزَّجَلَّ** ووعدِهِ وصدق الاستجابة لأمر الله **عَزَّجَلَّ** بالدَّعوة والنُّصرة والبلاغ يدعو إلى هذا الاجتهاد في الدعوة إلى الله وبيانه وأن يكون ظاهرًا بيِّنًا، إقامة الدين تقتضي الظهور، تقتضي أن يكون شيئًا بيِّنًا، تقتضي أن يكون شيئًا قويًّا؛ فتُقيمه في نفسك وتُقيمه في غيرك؛ تجتهد في الدعوة، تجتهد في البيان، تجتهد في الأمر بالمعروف

وتجتهد في النهي عن المنكر، ولا سيما في هذا الزمان الذي عظمت فيه الغربة وكثرت فيه الشُّبه وانصرف كثير من الناس عن الحقِّ.

وبناءً عليه؛ فما بقي إلا أن يتَّقِيَ اللهُ الإنسانُ فيما آتاه اللهُ من هذا العلم، العلمُ كما أنه نعمة فإنَّه مسؤولية؛ كما أنَّ عليك أن تجتهد في تحصيله فإنَّ عليك أن تؤدِّيَ الواجب عليك بناءً على تحصيله، فثمَّة حقٌّ في أداء هذا العلم عليك أن تؤدِّيه؛ تدعو إلى الله، تأمر بالمعروف، تنهى عن المنكر، تنصح، توجه.

وأولى الناس بخيرك في هذا -يا إخوتاه- هم أهل بيتك، ولا سيما الأبناء؛ لا بد أن تجتهد في إقامة الدين في نفوس أبنائك، في نفوس بناتك، في نفوس ذريتك، فإنَّ الغفلة عن هذا، والله عظيم، أبناء المسلمين يُختطفون مع الأسف الشديد ويُذهب بهم يمينا وشمالا إمَّا إلى تيارات غالية، وإمَّا إلى تيارات منحلَّة؛ وذلك أنَّ هذه الشبكة اليوم انفتح بها الأمر انفتاحًا عظيمًا، وعمَّ الأمر وطمَّ وصارت الفتنة فتنةً عظيمةً جدًا.

فلا بُدَّ -يا إخوتاه- أن نتنبه، لا بُدَّ أن نحرض في تربية من يلوذ بنا من ذريةٍ وإخوةٍ ومن جعلهم اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** تحت أيدينا، لا بد أن نجتهد أن ننقلهم من إيمان المربي والمنشأ إلى إيمان اليقين والقناعة، هذا من الأمر المهم الذي ينبغي أن نتنبه له وينبغي أن ندندن عليه كثيرا.

لابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ كلمة حسنة في كتابه (مفتاح دار السعادة) وهي: «أن من الناس من إيمانهم إيمان مربى ومنشأ»، يعني إيمان عادة ولد من أبوين مسلمين وصار مسلماً بحكم النشأة، قالوا له: «صلِّ» قالوا له: «صُمِّ» صام، لكن ما خالط الإيمان بشاشة قلبه، ما ذاق طعم الإيمان ولا وجد حلاوته، ما وصل إلى درجة أن يرضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولا؛ هذا الذي يبلغ هذه الدرجة هو الذي يجد طعم الإيمان ويذوق حلاوته كما أخبر بهذا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

تجد أن إيمانه إيمان مربى ومنشأ، وهذا إيمان مجمل إيمان ضعيف، فقال رَحْمَةُ اللَّهِ: «هذا الإيمان لا يُجدي على صاحبه شيئاً إن هبَّت عواصف الفتن»؛ لأنه إيمان خفيف غير متجذّر، ليس له جذور قوية وبالتالي فأى ریح تُميله.

هذه مصيبة وهذا الذي وجدناه يا إخوانه؛ أن من أبناء المسلمين وبنات المسلمين -وأنا أتكلم بالعموم في بلاد المسلمين ولا أخص مكاناً- أن من السهولة بمكان أن تتخطفه أيدي الضالين وتؤثر فيه أي شبهة تقال حتى ولو كانت تافهة، وربما قلبت حاله رأساً على عقبه، ولربما أوصلته إلى هوة سحيقة من الضلال والعياذ بالله؛ شبهة تافهة! السبب ما هو؟ أن إيمانه إيمان مربى ومنشأ.

وللشيخ ابن سعدي رَحْمَةُ اللَّهِ كلمة قريبة من هذا أيضاً؛ عندما فسر سورة الجن عند قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ﴾ [الجن: ١٣]؛ هذا إيمان اليقين



والتحقيق وليس إيمان النشأة والعادة.

إذن لا بد أن نسعى في أن ننقل أبناءنا وبناتنا، ونحرص مبكرين ولا نتأخر ولا نُسوّف ولا يُسابقنا الزمن فيشدُّ الفتى والفتاة عن الطوق فلا يمكن التدارك، ضعُف الأمر وأصبح هناك مصادر أخرى تؤثر في هؤلاء، نبادر من البداية في تنشئتهم على إيمان اليقين والقناعة، أنه مسلم؛ لأن هذا هو الحق، يصلي؛ لأن هذا هو الصواب، يجتنب ما حرم الله **عَزَّوَجَلَّ**؛ لأن هذا فساد.

لا بد أن نحرص أن نصل بهم إلى هذه الدرجة، وهذا -يا إخوتاه- يكون بأمور:

أولاً: أن نعمّق في نفوسهم تعظيم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**؛ لا بُدَّ أن يبيّن لهم بقدر ما يناسب عقولهم وأفهامهم وأسنانهم ما يتعلّق بعظمة الله **عَزَّوَجَلَّ** وصفاته وأسمائه ومعانيها، لا يُسمح أن تمضي عليه السنوات الطويلة وهو لا يعلم معاني أسماء الله **عَزَّوَجَلَّ** وصفاته وهي تمرُّ عليه باستمرار! لا بد أن يدرك ربوبية الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ودلائل وجوده ودلائل ربوبيته؛ وهذا الأمر -يا إخوتاه- في هذا الزمان من الأهمية بمكان، والعناية به من الأهمية بمكان.

وهذا لا يعني إهمال الدعوة إلى توحيد الألوهية، فإننا ندعو إلى الأمرين؛ لأن هذا الأمر إن كان واضحاً بالسابق ولا شبهات تتناوله فالأمر مختلف في هذا

الزمان؛ اليوم هناك تيارات إحدادية ولا دينية عظيمة وشبهاتها كثيرة فتؤثر كثيراً في النفوس وتؤدي إلى وقوع شبه تتعلق بذات الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، بل لا بد من تعميق هذا الأمر، لا بد من بيان عظمة الخالق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في خلقه وأن كل شيء تراه العين وتسمعه الأذن هو دليل على وجود الله، بل على ربوبيته، وهذا ما يستوجب منا عبادته.

ابداً معه في كل شيء وبيّن له عظمة الله **عَزَّ وَجَلَّ** في خلقه، وهذا باب واسع فسيح لكن يحتاج منك أن تكون أولاً متأهلاً، لأنّ هناك تفاصيل كثيرة، الكلام العام -يا إخوتاه- مع الجيل الجديد قليل التأثير، هم يحتاجون إلى أشياء تفصيلية، يحتاجون إلى أشياء مقنعة، الكلام العام ربما يكون تأثيره في السابق موجوداً، أما في هذا الزمن من وجهة نظري هم يحتاجون إلى تفاصيل يحتاجون إلى تدقيق؛ فتشرح لهم وتبين لهم في خلق النملة، في خلق الزرافة، شيء عجيب جداً؛ كيف أن الخالق العظيم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** خلق الزرافة وأوجد لها هذا القلب العظيم، تُدرِك كم وزن قلب الزرافة؟ من حدود عشرة إلى إحدى عشرة كيلو، لماذا؟ لأنه يحتاج إلى ضخ عظيم للدم إلى أعلى؛ لأنّ هذا العنق يمتدُّ إلى مترين فأكثر؛ هذا لا يمكن أن يكون صدفة. لا بدّ أن يكون هناك خالق عظيم وحكيم. تدري أن سُمك هذا القلب يصل إلى سبع سنتيمترات، لماذا؟ لأنه يتحمل هذا الضخ، إن كان السمك رقيقاً تفجّر.

من الذي هدى هذه الزرافة أنها إذا أرادت أن تشرب تشرب بطريقة لعلكم تعرفون هيئتها! هذه الطريقة مهمة جدا لأجل أنها مع قوة هذا الدفع إذا نزلت ربما يتفجر الدماغ، فهذا النزول بهذه الكيفية يخفف من دفع الدم ووصوله إلى الدماغ. من الذي هدى الزرافة إلى هذا؟ كيف يمكن أن يكون هذا؟

في كل شيء؛ اشرح له تخثر الدم، كيف أنه إذا حصل الجرح؛ الجسم مباشرة يكون منه شيء يسمى تخثر، لماذا؟ من الذي وجه الجسم إلى هذا التوجيه، يتوجه مباشرة إلى هذا الأمر؛ يكون طبقة حتى لا يحصل نزيف، هل يمكن أن يقع هذا صدفة؟

أشياء وأشياء كثيرة جدا، هذه والله يا إخوة لها أثر عظيم في تعميق الإيمان بالنسبة لهؤلاء الشباب، الشباب يحبون هذا الكلام ويعمق الإيمان في قلوبهم ويؤمنون بإذن الله من أن تأتيهم الشبهة.

كلمني مرة أحد الشباب قال: يا شيخ أنا في ورطة عظيمة، قلت: لماذا؟ قال: كلمني أحدهم قال لي: الله موجود؟ قلت: نعم. قال هل رأيت؟ قلت: لا، قال: وما أدراك أنه موجود؟ قلت والله هذا أربكني كيف الله موجود؟ يمكن أن يكون غير موجود.

شبهة تافهة داحضة لا قيمة لها؛ لأن الرؤية ليست هي المعيار الوحيد؛

لإثبات وجود الأشياء، صح أم لا؟ نحن ما رأينا الجاذبية، هذه الكهرباء أحد رأى التيار الكهربائي؟ لا أحد رأى التيار الكهربائي، هل هو غير موجود؟! إذن رؤية الشيء تثبت وجوده، ورؤية آثاره تثبت وجوده، وكل شيء في هذا الكون يدل عليه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،** الله **عَزَّ وَجَلَّ** كما قالوا طرائق بعدد أنفاس الخلائق؛ طرائق: يعني دلائل تدلُّ على وجوده **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.**

المقصود -يا إخوتاه- أن الشباب بحاجة إلى تعميق الإيمان في نفوسهم حتى يصلوا إلى مرتبة إيمان القناعة وإيمان اليقين فلا تؤثر فيهم تلك المؤثرات، فهذا -يا إخوتاه- من الأهمية؛ بمكان العناية بإقامة الدين في نفوس الذرية.

وإذا أردت أن تصل معهم بتوفيق الله **عَزَّ وَجَلَّ** إلى ما تصبو إليه فإنني أوصيك بأمرين -زيادة على ما سبق-:

☞ أولاً: أن تجتهد على زوجتك؛ لأنك إذا توافقت أنت وإياها على منهج واحد في التربية سيكون الأثر عظيماً، أما إذا كنت أنت تغرد في المشرق وهي تغرد في المغرب وما تتفقان ولا تتعاونان، بل ربما تتعارضان؛ فإن أثر هذا سينعكس على الذرية.

☞ الأمر الثاني وهو من أهم الأشياء: أوصيك أن تتخذ ابنك صديقاً؛ احرص على أن تكون قريباً منه، احرص على أن تكون الصخرة التي تتحطم

عندها كلُّ شُبه الضالين، وإذا كان بينك وبينه فجوة وليس بينك وبينه صلة فسيذهب عنك إلى غيرك ويلجأ إلى أبواب غيرك، وربما يضع يده في جحور الثعابين والعقارب فينحرف وأنت لا تشعر.

المشكلة اليوم أنه في البيت الواحد هناك عوالم مختلفة، بعكس ما كان عليه الأمر في السابق؛ كان في السابق تفكير الأسرة تفكيراً واحداً مسموعاً، هناك مناقشات، هناك مباحثات، هناك جلوس مع بعض كثيرًا، اليوم كل واحد من الأبناء والبنات له عالم خاص، بالتالي أنت لا تدري هو أين يعيش؟ ومع من يتواصل؟ ما هو العالم الافتراضي الذي يعيشه؟ وبأي شيء يتغذى؟ ومرت بي قصص وأحوال للشباب وصلوا إلى مرحلة بعيدة من الضلال ومن الانحراف والإلحاد والأسرة في غفلة لا تدري؛ الأب مشغول بدياه والاستراحة والعمل. والزوجة مشغولة بالجوال والواتساب والسوق، والابن والبنت في عالم آخر! يغلق الباب وبين يديه هذا التاب أو اللابتوب أو الجوال ويبحر، هناك من يصطاد، هناك شبكات تصطاد بمعسول الكلام وبحجج مزخرفة وأنت في غفلة عن ذلك. فأقول يا إخوتاه: من استطاع أن يجعل ابنه أو ابنته أو أخاه الصغير صديقاً له وكتاباً مفتوحاً بين يديه يكسب صحبته ومحبته ويطمئن إليه؛ فأظن أنه قد حاز خيراً عظيماً، وسيحقق بإذن الله ما يصبو إليه. هذه الوصية الأولى.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]؛ كلُّ ما سبق من إقامة الدين

والاجتهاد في ذلك فإنه معلقٌ قائدٌ لحصول الألفة والاجتماع بين المسلمين وعدم تفرقهم واختلافهم، فالتفرق في الدين هو الحارقة، وقوع البغضاء في النفوس والتنازع فيما بينهم أثره عظيم - يا إخوتاه - ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]؛ تنازع المسلمين - ولا سيما الخُصَمَاءُ منهم - وهم الدعاة إلى الله وطلاب العلم وأصحاب المنهج الصحيح، تنازعهم يعني ضعفهم ويعني قوة أعدائهم، فالله الله في جمع الكلمة والتعاون على الحق والهدى والسنة؛ بهذا يحصل الخير المرجو بتوفيق الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يعينني وإياكم على ما يرضيه، وأن يثبتنا على دينه حتى نلقاه، ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، اللهم أسألك يا الله أن تملأ قلوبنا بحبك وألستنا بذكرك وأن توفقنا لطاعتك وأن تستعملنا في مرضيك. والله تعالى أعلم.

وصلّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

